مركز الكاشف للمتابعة و الدراسات الاستراتيجية
www.alkashif.org

تنظيم القاعدة يفتح جبهة جديدة في الشرق الأوسط

ترجمة: مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية

تنظيم القاعدة يفتح جبهة جديدة في الشرق الأوسط

صحيفة الانديبيندت البريطانية/باتريك كوكبرن[1]/ ٢ أيار/ مايو ٢٠١٢

في الذكرى الثانية لمقتل زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، يدرس باتريك كوكبرن **كيفية إستغلال تنظيم القاعدة لحالة عدم الاستقرار التى تشهدها منطقة الشرق الاوسط .**

اعتاد العالم على ذلك المشهد الذي نرى فيه حفرة كبيرة في الطريق حيث فجر انتحاري سيارته، وانتشرت برك الدماء واللحم المتطاير من ضحايا ذلك الانفجار، والمباني المنهارة ؛ والناجين الذين يتخبطون وسط حطام السيارات والزجاج المكسور.

ورغم ما عهدناه خلال العقد الماضي من تفجيرات ودماء اسالتها العمليات الارهابية لتنظيم القاعدة فإن ذلك التنظيم إنتهج شكلا آخر من أشكال الارهاب في العالم من خلال التفجيرات الانتحارية الأخيرة التي وقعت فى دمشق.

وأعلنت المعارضة السورية أن هذه الهجمات وغيرها التي استهدفت رموز الدولة السورية هي من عمل الحكومة السورية التي تسعى إلى تشويه سمعة المعارضة. لكن تلك الهجمات تحمل جميع السمات التي تتصف بها عمليات تنظيم القاعدة و أكدت المخابرات الأمريكية أن التفجيرات الانتحارية التي وقعت في سوريا هي من عمل تنظيم القاعدة. وان جماعة ارهابية تابعة لتنظيم القاعدة تطلق على نفسها إسم " جبهة النصرة لحماية بلاد الشام " قد أعلنت مسؤوليتها عن تلك الانفجارات الانتحارية في دمشق والتي خلفت ١٠ قتلى.

وتشير هذه التفجيرات الى ان **تنظيم القاعدة لا يزال فاعلا بشكل كبير في المنطقة**، بالرغم من مقتل زعيمه بن لادن وغيره من القادة، وان شوكة التيار السني المتطرف قد قويت عقب ثورات الربيع العربي واذا كان بن لادن قد مات، فان التطرف الإسلامي – والأسباب التي أدت اليه– لا تزال موجودة. كما ينطبق ذلك على أفغانستان حيث كانت حركة طالبان تسيطر على البلاد قبل العام ٢٠٠١؛ وينطبق على العراق بعد الغزو الامريكي في العام ٢٠٠٣، وفي اليمن حيث الصراع المتصاعد في اعقاب الربيع العربي.

وقد تتصور الحكومات الغربية أن النسخة الجهادية الإسلامية الأصولية قد فقدت قوتها منذ بداية الربيع العربي. فهناك الآن سبل أخرى للاحتجاج الفعال من قبل الشباب المسلم الساخط. ولكن هذا الرأي مضلل، لأن الربيع العربي كما جلب التغيير، جلب ايضا النزاع المسلح في اجزاء واسعة من العالم العربي تم فيه التصدي لذلك التغيير، كما هو الحال في سوريا وليبيا.

[1] باتريك كوكبرن: صحفي ايرلندي عمل مراسلا في الشرق الأوسط منذ العام ١٩٧٩ لصحيفة فاينانشال تايمز ، وفي الوقت الحاضر، يعمل مستقلا. من بين الكتاب الأكثر خبرة في الشأن العراقي، له أربعة كتب عن تاريخ العراق الحديث.

ان التطورات في سوريا مهمة جدا بالنسبة لتنظيم القاعدة لانها تبين بوادر قوة التنظيم في جزء مهم من منطقة الشرق الأوسط وبالتالي فان نشاطه لم يعد يقتصر على المعاقل المنعزلة في شمال غرب باكستان، وفي اليمن والصومال. وقد تكون مواقف التنظيم في التعاطي مع تداعيات الربيع العربي مستوحاة من أفكار مختلفة عن تلك التي آمن بها بن لادن وأتباعه، ولكن ضعف الدول في جميع أنحاء المنطقة يسهل من مهمة تنظيم القاعدة.

العالم العربي اليوم يبدو أكثر فأكثر شبها بما كان عليه في الخمسينات والستينات عندما كان هناك صراع مرير على السلطة بين **القوميين والإسلاميين والشيوعيين والعلمانيين والليبراليين**. واصبح العديد من البلدان الان أكثر حرية ، بعد الانتفاضات التي عمت المنطقة العام الماضي، ولكن الكثير منها ستكون أكثر انقساما وعنفا.

كيف افلت تنظيم القاعدة من الأجهزة الأمنية بعد الحادي عشر من سبتمبر وهل سيكون قادرا على القيام بهجمات مماثلة في المستقبل؟ الجواب هو أنه تمكن من الافلات لأنه لم يكن بالشكل الذي يتصوره الخبراء في مجال ما يسمى بمكافحة الإرهاب. فلم يكن لديه اي نوع من "الكومنترن" الإسلامي، ولديه مجسات تمتد من وزيرستان إلى برمنغهام. وعندما كان تنظيم القاعدة في أقوى حالاته كمجموعة متماسكة ايام قيامه بهجمات ١١ايلول/سبتمر ، لم يكن ابن لادن يتطلع سوى الى ١٠٠ رجل لتنفيذ تلك الهجمات. ومن ناحية أخرى، العقيدة التي اعتنقها بن لادن والاتجاه الجهادي الأصولي في الإسلام، اوسع بكثير من ان يتم القضاء عليها. المجموعات التي لا علاقة تنظيمية تجمعها بتنظيم القاعدة الآن تستخدم تكتيكات ذلك التنظيم لأنها فعالة.

ان المنظمات على شاكلة تنظيم القاعدة سوف تتمكن من السباحة في المياه السياسية في منطقة الشرق الأوسط في المستقبل لأنها تستطيع توظيف النزاعات المتصاعدة هناك. وكان بن لادن يعتبر الولايات المتحدة عدوه الاول، في حين كان لأصحاب الامتياز من وجود تنظيم القاعدة أولويات مختلفة. واتصف الربيع العربي بشكل عام بالثورة الشعبية ضد الدول البوليسية في تونس وليبيا ومصر لكنه لم يكن كذلك فحسب، فقد تفاقم الوضع في شرق مصر ، ونشب صراع بين الشيعة والسنة في سوريا والبحرين والعراق. وعمق ذلك المواجهة بين قوى التحالف الذي تقوده إيران، المناوئة لنفوذ الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وعناصره بقيادة السعودية.

الحكومات الغربية ووسائل الإعلام الغربية تعطي الانطباع بأن تنظيم القاعدة ومن يرتبط به هي منظمات معادية للغرب. واجهزة مكافحة الإرهاب، تعج في كثير من الأحيان بالأكاديميين، والصحفيين ورجال الاستخبارات المحتالين، الذين يتجاهلون أو يقللون من أهمية حقيقة ان هجمات تلك الجماعات الجهادية المتشددة تستهدف المدنيين الشيعة بشكل اكبر بكثير من استهداف الغربيين.

وان الانفجارات التي وقعت في دمشق و إدلب تؤكد على انه بالرغم من مقتل بن لادن فإن تنظيم القاعدة مازال موجودا و يمارس نشاطه وان ذلك لن يؤثر كثيرا على مستوى النشاط الارهابي للتنظيم إبان فترة زعامة اسامة بن لادن.

كان هناك دائما تناقض في الحرب التي تقودها الولايات المتحدة ضد تنظيم القاعدة وحركة طالبان. فقد جرت تلك الحرب بالتحالف مع دولتين هما المملكة العربية السعودية وباكستان والتي لها سياسات تدعم الحركات السنية الأصولية. وكانت الاستخبارات العسكرية الباكستانية قد اسهمت في احياء حركة طالبان في باكستان. وفي الوقت الذي يمثل فيه جهاز الاستخبارات العسكرية الباكستانية حليفا للولايات المتحدة ضد تنظيم القاعدة الا انه **غير قادر بشكل مثير للريبة** على القضاء التام على تنظيم القاعدة.

العلاقة بين المملكة العربية السعودية و القاعدة، مختلفة قليلا عن ذلك. فالأمن السعودي يلاحق المتشددين، ولكن الوهابية، الفكر الإسلامي في المملكة العربية السعودية، وثيق الصلة للغاية بفكر تنظيم القاعدة. وهو الفكر الأصولي الذي يؤمن معتنقوه بالإسلام في صورته البدائية ، ويؤمنون بالقتال حتى الموت ودخول الجنة شهداء. وينظر هذا الفكر الى الشيعة على انهم اعداء منذ قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩.

وعليه فان المملكة العربية السعودية وقطر تمثلان أهمية بالغة بالنسبة لمستقبل الحركة الأصولية السنية، سواء كان تحت مسمى تنظيم القاعدة او تحت مسميات اخرى، تتبنى ذات المنهجية والفكر التكفيري. موازين القوى في العالم العربي تغيرت في اعقاب ثورات الربيع العربي، تسعى القيادات السعودية والقطرية الى ملء الفراغ في البلدان التي اصبحت ضعيفة و تشكو من اضطرابات داخلية مثل مصر وسوريا والعراق. وان هذا الواقع يعزز المنهج الأصولي السني، الذي لا يشكل تنظيم القاعدة سوى فرعا واحدا منه.